ونكتة هذه النادرة الحرية بالتسجيل في تاريخ تجارة مصر قولهُ « ثم يبيعونهُ للفرنج » ولا شك انهم كانوا يرون ان في حصر بيعهِ للفرنج الكفّار كفّارةً عن هذا الاثم فضلاً عمَّا وراءهُ من الربح . وحبَّذا لو كان المقريزي نصَّ على جنس هؤلاء الفرنج المغبونين كعادتهِ غالباً في تسميتهم في تاريخهِ بين جَنَوية وبنادقة وبُرجان وقبارصة وكتلان او كتيلان وهم فرنج برشلونة (Catalans de Barcelone) . ولعلَّ الالمان كانوا وقتئذٍ من جملة أكلة هذا الدهن البشري ولذلك تنبَّه ذكرهُ في أمعائهم لما عضَّتهم الحرب الضروس بانيابها والجأهم الجوع الى مراجعة محفوظاتهم التاريخية وذخائرهم الصناعية

بين المشرق والسائح

مقدمة

وقف حضرة مدرّس الخطابة في كليَّتنا على ما كتبهُ عبد المسيح افندي حدَّاد في جريدة السائح التركيَّة عن انتقادنا لكتاب جبران افندي خليل جبران المشحون بالبدائع والطرائف فعرض على تلامذتهِ بعد ان اطلعهم على مقالة المشرق وردّ السائح ان يكتبوا فصلاً انتقاديًّا فيها ليمتادوا فنّ الانتقاد الادبيّ واليانعَ . فوجدنا في ما كتبهُ البعض منهم دليلاً على حصافة عقلهم وشاهدًا على براعتهم في الانشاء بلغتنا العربيَّة فاخترنا انتقاد اثنين منهم تشيطًا لصفّهم

ل . ش

انتقاد اوَّل

بقلم التلميذ الاديب فؤاد افرام البستاني

ظهر في اوائل الصيف الماضي كتاب لجبران خليل جبران دُعي « البدائع والطرائف »

تلقَّت الجرائد هذا الكتاب — والجرائد قوام الحركة الادبية عندنا — فكان موقفها إزاءهُ موقفها إزاء كل كتاب جديد يأتيها على سبيل الهدية . اجترأ اكثرها

بقراءة العنوان فطبّلت وزمّرت بذكره وكتبت في تقريظه العواميد الطويلة « معجبة بخيال الكاتب ومقدرته الفائقة وافكاره السامية ما جعل كتابهُ مدرسةً للآداب وواسطةً لتهذيب الاخلاق واصلاح المجتمع . . . » الى غير ذلك من القوالب الفارغة المبتذلة لكثرة الاستعمال ، والتي تجدها مرصوفة على منضدة اكثرية صُحفينا استعداداً لتقريظ كتاب جديد

كتبوا ومدحوا وقرّظوا واكثرهم لم يقرأ بإمعان ما حاول تقريظهُ . ولِمَ كلُّ هذا الاندفاع ؟

لان مؤلف الكتاب جبران خليل جبران . . .

جبران خليل جبران شاعر رسّام بارع ولَسِنٌ تدير واحد حملة القلم العربي في هذا العصر ولكن كتابه « البدائع والطرائف » يجمع بين الدرّة والبعرة ومع بدائعهِ الترافه والسفاسف

اذن كان الواجب على جرائدنا ان تحكم فيهِ حكماً منصفاً – وهو امرٌ لم تألفه – ولهذا ظلت تتناقل التقاريظ الفارغة حتى ظهر عدد تموز الاخير من مجلة المشرق واذا فيه انتقاد مفصّل لحضرة مديرها بيّن فيهِ ان « البدائع والطرائف » لا تخلو من نقائص ومعايب كالإبهام ، واللغو والمزاعم الباطلة والافكار الفاسدة

انتقد الاب الكتاب كأديب وككاهن ، فبيّن الخلل في المبنى وفي المعنى واعطى الامثال الصادقة على كل ذلك فأجاد . وكاني به اراد ان يقف موقف الدليل المرشد الى مكان الخطأ مكتفياً بذلك – وهذا واجب عليه – فادّى بهِ موقفه هذا الى الاقتصار في مديح الكتاب دون ان ينكر ما يحتويهِ من بعض الحسنات

ظهر الانتقاد في المشرق فقرأه القليلون لان اكثرنا لم يتعوّد الانتقاد . ثم مرّت الاسابيع والاشهر واذا بجريدة « الشعب » النيويركية نقلت انتقاد « المشرق » واذا بجريدة « السائح » النيويركية ايضاً وقفت على الانتقاد فلم يَرُق في عينها فعلّقت على « هامشها » كلمةً نالت بها من كرامة المنتقد وانكرت عليه مقدرته وحقّهُ مدعيةً انه شاء الحطّ من قدر جبران فمدحه من حيث لم يقصد « فوقع سهمه على امّ رأسه » وذلك بعرض الامثال التي اختارها من « البدائع والطرائف »

عجبتُ لجريدة « السائح » يثور ثائرها لانتقاد كتاب وهي التي بثّت روح الانتقاد

في العالم العربي بما نشرتهُ وتنشره من المقالات الشائقة في هذا الفن لمخائيل نعيمه ووليم كاتسفليس وغيرهما من اعضاء «الرابطة القلمية»

يجوز «للسائح» ان تنتقد شوقي والريحاني وخليل مطران وغيرهم من الشعراء والكتّاب ولا يجوز «للمشرق» ان ينتقد جبران !!!

لِمَ هذا التفاوُت في الحقوق ؟

ولِمَ غضبت «السائح» ؟

أَلِأن المنتقد كاهن يسوعي ؟ام لان المنتقَد عليه جبران خليل جبران وهو من «الرابطة القلمية» ؟

أأصبحت الرابطة القلمية فوق كل انتقاد؟ ام اصبح جبران معصوماً عن الخطأ ؟

اذا كان ذلك فلنكسر اقلامنا ولنسلم زمام لغتنا الى الرابطة القلمية باكين على عهد حرية الكلام . وان لم يكن ذلك فليس «للسائح» اقل حق باهانة المنتقِد

عجبت لهذا الحادث ، وحق لي ان اعجب ، لاني اعهد «السائح» — وهي من جراندنا الراقية — ارفع من ان تتداخل بالشخصيات ، واكبر من ان تنظر بعين التحزب الى انتقاد ادبي لا دخل فيه لصفات المنتقِد والمنتقَد

تقول «السائح» ان مدير المشرق اراد ذمّ جبران فمدحه فهي تنكر على الاب معرفته وتبرهن على ذلك بنقل تقريظ «المقتطف» للكتاب المذكور ويا له من برهان دامغ ! يُبرهن ، لا عن جهل الاب ، بل عن سهو مقرّظ الكتاب في «المقتطف» اذ نراهُ جارياً في النقد الادبي على طريقة اكثر جراندنا القرّاء . . .

انا لا ادافع عن الاب شيخو ولا اتحامل على جبران فان لكل من الكاتبين في عالم الادب مركزاً معروفاً على ذوي النقد ان يقدّروهُ كما يشاؤون . ولكني وقفت على هذه الحركة فوجدت من نفسي دافعاً لعرض افكاري بشأن «البدائع والطرائف» محور الحركة المذكورة

قرأت الكتاب وقرأته فاعجبتني رشاقة جبران في كتابته وشاقني شعوره الرقيق ، وخياله المصوّر ، وبعض انتقاداته للرجال والاعمال . ولكني لم اتمالك من اظهار الاسف والحيرة عند قراءة بعض مقالاته غير المفهومة اما للتطرُّف في الخيال ، على مذهب بعض الشعراء ، واما للمغالاة في رقة الشعور حتى يصبح المطالعون —

وهم اقل شعوراً من جبران — عاجزين من فهم المقصود . وما تجاوز الحد سواء كان في الخيال ام في رقة الشعور الّا آفة الشاعر اذا لم يكن له من عقله رادع عن التهوّر

كنت اجهل جبران واحب ان اعرف عنه شيئاً فعرفت — بطالعتي فصلهُ المعنون «جبران العاشق» — ان الرجل «يعشق الخواطر ، والتصوّرات ، والالوان ، والانوار ، والقدود العارية ، ويعبد الجمال . . .» واردت زيادة ايضاح فسمعته يقول عن نفسه في «المخدرات والمباضع» : «انا متطرّف حتى الجنون ، اميل الى الهدم ميلي الى البناء ، وفي قلبي كره لما يقدسه البشر وحبٌّ لما يأبونه ، ولو كان بامكاني استئصال عوائد البشر وعقائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة»

هذا هو جبران كما يظهر في نثره وشعره بل في كل حرف خطّهُ . فلا نعجب اذن اذا رأينا الافكار الفاسدة تختلط في كتاباته مع النظرات الصائبة فان ما نحسبهُ فاسداً هو صحيح في شرع جبران بل هو اصحُّ مما نراه صحيحاً

جبران يحب الهدم فهو من هذا القبيل يقتفي آثار فلاسفة القرن الثامن عشر ولكنه يختلف عنهم بان هؤلاء كانوا يفكرون بالبناء وجبران لا يرى الآن الّا الهدم والتخريب

لنفترض ان آمال جبران تحققت بهدم الصرح الاجتماعي واستأصل عادات البشر وعقائدهم وتقاليدهم . . . فما تكون حالة المجتمع بلا دين ولا شرائع ولا رابطة قومية ؟

هل نعود نفرق بشيء عن بولشفيك روسيّة التاعسة ؟

ام هل يكفينا حينئذاك «عشقُ جبران للخواطر ، والتصورات ، والالوان ، والانوار ، والقدود العارية» لانهاضنا من هذه الورطة ؟

الهدم حسن وفي بعض الاحيان لازم اذا كان الهادم يقدر على تشييد صرح افضل مما يهدمه . فهل يرى جبران من نفسه هذه المقدرة ؟

نحن بحاجة ، لا الى الهدم ، بل الى تحسين ما عندنا من البناء الاجتماعي ولو كان كوخاً من خشب . . .

. . .

هذا ولا اتعرّض لمذهب جبران الديني فاني لم ارَ لهُ مذهباً محدوداً اذ بينا نراه

يحاول اللحاق بمذهب الحلول والانتشار في مقالته «الله» ينتقل الى «الارض» فيسقط في حضيض الماديين. ثم نشاهده، وقد برّحت به على قوله محبة الله، يقرب الى عالم التخيّلات والاوهام الباطلة ثم يتظاهر بالغيرة على عبادة الله الحقيقية ويحكم على كل العباد بالتزوير والغش والمتاجرة ويقول بانهم لولا خوف الجحيم وحب النعيم لما عبدوا ربًّا ولا صلّوا لإله .

ولعلّ هذا ما حمل جريدة «السائح» على نعت جبران «برسول الله وعونه..» فنعم الرسول ونعم العون !

وكان بودّنا ان نثني على مذهب جبران وطريقته الادبيّة في كتاباته لولا اننا وجدناهُ فيها ايضاً مغالياً متطرّفاً لا يُحسن الوقوف عند الحدود وقد قيل : احسن الامور اوساطها . ولو احتاج مدير المشرق الى الدفاع وافحام السائح لكفاهُ ما نقلهُ جبران نفسهُ من اقوال الجرائد في نقد كتاباته (ص ١٠١ من البدائع والطرائف) فقالوا: هو (اي جبران) متطرّف بتبادئهِ حتى الجنون. هو خيالي يكتب ليفسد اخلاق الناشئة. هو فوضويّ كافر ملحد . .»

والعجب كلّ العجب ان جبران افندي يقرّ بصحّة هذه الانتقادات وغيرها فيقول: «هذا بعض ما يقولهُ الناس عني وهم مصيبون (كذا) انا متطرّف حتى الجنون... لا امزج السمّ بالدسم بل اسكبهُ صرفاً غير اني اسكبهُ في كؤوس نظيفة شفّافة»

فما قول صاحب السائح بهذا الاقرار او يليق بهِ بعد ذلك ان يدافع عن جنون جبران. وان شاء هو «ان يشرب سم جبران من كأسهِ النظيفة الشفّافة» فهو وشأنهُ فليشربهُ هنيئاً مريئاً وليدع العقلاء غيرهُ يحبّونهُ ويحذّرون من شربهِ

انتقاد ثانٍ

بقلم التلميذ الاديب ادوار صعب

حمل الينا بريد اميركا في الآونة الاخيرة جريدة السائح نترأنا بلّ الاندهاش المقالة الافتتاحية «على الهامش» المدبّجة ببراع محررها الاديب. واذا بقلمهِ قد جمح هذه المرّة على خلاف عادتهِ

ساءنا وأيم الحق ما جاء بها من الطعن والتعريض في احد افاضل كليّتنا ومعلّمينا

الذين أرشدونا في كل مناهج الادب والصلاح فرأينا والحالة هذه أن من واجباتنا ومن واجبات كل ذي ضمير حرّ ويراع مقرّه عدم السكوت تجاه هذا التهجّم والتحامل من صحافي اديب على منشئ مجلّة لها مكانتها المعروفة عند الناطقين بالضاد

اما اسباب هذا الخلاف فهو انتقاد مدير الشرق لاحد مؤلفات جبران خليل جبران الذي جمعه وطبعه على نفقته في المدة الاخيرة يوسف افندي توما البستاني صاحب مكتبة العرب بمصر. وهو كما ارى سببٌ تافه بسيط لا يتطلب هذا الردّ العنيف وقد كان الاجدى بجبران وطنيته ان يشكروا الناقد لا ان يستسلموا لعوامل غضبهم فيزعقون ويضجّون ويلعنون والامر كما تقدّم في نهاية البساطة. وقبل ولوج قلمنا في هذا الموضوع المهمّ نعرّف الجمهور بجبران خليل جبران المرمأ اليه فنقول:

ليعلم القاصي والداني من هو ذلك الذي يحمل هذا الاسم الكريم حفظه الله!! جبران لبناني الاصل ماروني المذهب. ولد في بشري سنة ١٨٨٣ ونشأ فيها تحت سماء لبنان الساحرة. وعلى انقاض العصور السالفة في سفح الارز المهيب! ثم تتلمذ في مدرسة الحكمة فتلقّن عن اساتذتها العربية بيد انه اختص نفسهُ منذ ذلك الحين باسلوب خيالي منمّق لولا انهُ غريب المبنى شارد المعنى ادهش به القرّاء فحكم فريق ان به مسًّا وفريق آخر ان فيه دلائل النبوغ

وقد رأينا كيف ان الحوادث حتّمت الحكمين في آن واحد فنشأ جبران نابغةً وانتهى متمشّأ. ولم يلبث ان تركَ المدرسة وهاجر الى باريس حيث تعاطى فنّ التصوير ونبغ في اوائل الامر كما قدّمنا وبعد ان اقام فيها مدة وجيزة هاجر الى الولايات المتحدة فقطن بوسطن زمناً اشتغل فيها بالكتابة والتصوير وبمجازرة بعض المعجبين بتفننه توصل الى الشهرة التي سعى كثيراً للحصول عليها. والانكى ان اسلوبه الخيالي قد تمكن من عقول الدّهماء وخلب البابهم في حين لم يكن يظن انسان بامكان رواج هذه الكتابات المزيفة المفخمة في سوق الادب الكاسد

وحين شعر جبران باستحسان بعض المتهوّسين جمح وتطاول على الرؤساء والرئاسة وعلى الدين والديانة وابتدأ قلمهُ ينشر الفصول الطوال جارياً على خطة امين محمد الريحاني الماروني المذهب الزنديقيّ المأرب ناكراً كل شيء الّا الماديات ساعياً وراء رسم الصور الخياليّة وربّما عدل الى الخلاعيّة بوجوه مختلفة جاحداً دين آبائه واجداده

وأما كتاباتهُ فلا تخلو من بعض قطع زجاجيَّة لمَّاعة يظنُّها الرائي من بعيد جواهر حتى اذا فحصها ومحصها تبيَّن لهُ انخداعه بالظواهر . وقد كنَّا والحقّ يقال كغيرنا من الناطقين بالعربية توسمنا في جبران النبوغ في بدء الامر ولكن سرعانَ ما خاب سهم المظنَّة بعد أن بانت لنا بكل وضوح افكارهُ ومبادئهُ الفاسدة العقيمة يوشحها بالعبارات المنمقة والخيالات الفائقة ليخفي ما انطوت عليه من السفاسف والترهات . ولم ارَ لهُ وصفاً اصحَّ مما كتبهُ في وصف الشاعر فذكر اخلاقه وعواطفه واميالهُ بكل صراحة لكنه اخطأ اذ نسبها الى كل شاعر . ومن قوله في نفسه : « انهُ متطرف بمبادئه حتى الجنون . وانَّ في كتاباته السم في الدسم الخ » أجل انه متطرف بمبادئه كثيراً حتى الجنون ولكنه ذو خبل شأن ذوي المعتقد العريضة والاخلاق الشاذَّة الذين لا يروقهم احد ولا يسرُّهم في العالم شيءٌ يعملون ليلهم نهارهم على نكاية الغير لا حبًّا بالشرور بل حسدًا وغيرة وهم على حدّ قول الشاعر القروي :

كل شيءٍ عندي ظلام كأني ناظرٌ من زجاجة سوداء

أجل : ان كتاباته السم في الدسم ولكن لا يشعر بدسمها الَّا ذو البُحران الذي ألفَ العلقم فراقه مرُّ الحنظل . وناهيك بتطرف جبران وسمومه فهنالك حشرات مبادئه السامة التي بثَّها في مؤلفاته العديدة قد نخرت وستنخر المئات والالوف من اشجار الاخلاق السليمة والمبادئ السامية فساها ، ولو بالرغم عن جبران وحزبه ان لا تقوى على نخر جذع شجرة الدين الصلب . وعسى تلك الكلمة الحقة الخارجة من افواه ارباب الدين تصمت اصوات يراعه المزعجة

واغرب شيءٍ من جبران هو تهجُّمه المتواصل على دينه وهذه النغمة الجديدة لم نكن نظن يوماً اننا سنسمعها من الكاتب الجاهل فكيف بنا وقد سمعناها مراراً من ذلك الذي عهدناه زماناً وسميناه « بالفيلسوف اللبناني » الذي هو ادرى من غيره بحاجتنا الى الدين في هذا العصر الفاسد . كيف لا والدين وحده الطبيب الشافي لهذا الاجتماع وهو الرادع المانع عن الموبقات والحافظ ثمرة الاخلاق من شر الفساد . . .

ولعلَّ جبران فاتته هذه الحقيقة الثابتة لانَّ الهوس غشَّى انظارهُ ورمى بهِ في وهدة التنوط فاصبح يخاف من الدين ومن ارباب الدين ومن كل ما له علاقة بالدين فعمَد الى رشقهم بسهامه غدراً ومحاربتهم بيراعه جهراً لانهم يذكرونه بمعصياته

وعقوقه ومن ثمّ موتٌ فاضمحلال فحشرٌ فدينونة وعلى الجحيم البقيـة . ولا لوم ولا تثريب عليه من هذا الباب ! . . .

وعدا عن تهجّمه على الدين تهجمه على الاخلاق ومحاولته زرع بذور الفساد في القلوب جهد الامكان فمن طالع منّا كتابه «الاجنحة المنكسرة» يسوءهُ ما ضمّنهُ من التصاوير القبيحة الشهوانية مثل وصفهُ لمسيح الله تمثال الطهارة تحيط به عشتروت آلهة الدعارة عند الفينيقيين وبضع نساء غاريات

شهد الله انني كنت في عهد نبوغه من عشّاق كتابته الفرحين بكل ما تخطُّهُ يراعته القائلين بانها آيات منزلـة هذا قبل ان بان لنا الغثّ من السمين والسراب من الكوثر واتضحت لنا معانيها المبتذلة السخيفة وتراكيبها الخيالية المجونية التي بهرت انظاري كثيراً من قبل ان افهم معانيها . ولكن عندما حدقت فيها شفّت لي عمّا تكتنه من الالوان القاتمة فانصرفتُ عن قراءة مؤلفاته حينما تحقّقت بذاتي فسادها وتوصّل بي الامر ان مزّقتها واحدة واحدة . ومع كل هذا لا يعني ان انكر بعض شوارد لقلمه تعدّ من محاسن انتتا . ومن البديهي ان العرسج لا يخلو من بعض الزهور فحسنُ عباراته في بعض كتاباته لا ينفي كونها تنبت كثيراً من الاشواك . ومن تلك الفصول الحسنة العبارة بعض متفرقات مثل فصوله «مات اهلي وانا في قيد الحياة» . و«يوم مولـدي» . و«من انت» . و«الاستقـلال والطرابيش» الى ما هنالك من الثمار الطيّبة التي انبتتهـا تلك الموسجة والتي لا يمكن جناها الّا مخضّبة بدماء ايدي قطافها

ومن اغرب ما سمعت انّ بعض المعجبين بجبران ينسبون له الفلسفة ولا ادري ما هي تلك الفلسفة ولعلّهـا كما قيل فلٌّ وسفه اهل تفرّهم الاقوال المتضاربة المتنافرة والخيالات المتباعدة وانت لو تصفحت تآليفه من اوّلها الى آخرها لما رأيت موضوعاً واحداً متناسقاً او مبنيّاً على اساس وأصول او محرّراً على سياق الكتابات الرصينة الناضجة الى آخر ما هنالك من اللوازم التي يحتاج اليها الكاتب البسيط فضلاً عن الفيلسوف فيشيد مقالة او موضوعه على أسٍ واحد فيأتي بنيانه متين الدعـائم قويّها وليس مطليّاً بالالوان المزخرفة لا زبدة له ولا موضوع يستند عليه الّا ما تحشرهُ اليراعة على صفحة القرطاس من الجمل المجونية المتسقة تنسيقاً شأن فيلسوفنا الناهض ؟

تصنّح مثلاً كتابه « على باب الهيكل » فتحكم حالاً على كاتبه بالاندفاع في هوة الجنون . وان لم يكن كلّه فعلى الاقلّ نصفه الذي تأكله (على زعمه) نار الحب (والسقم يعدي السليم) . ومن كتاباته التي حشاها بالثرثرة والهذر « العبودية الحرساء » حيث عمد في كل كلمة الى الطعن والسب في اولئك الذين يقضون حياتهم في الزهد والتكفير وعمل الخير . اولئك الاطهار الذين اذا لم ينفعوا الناس فعلى الاقلّ لا يضرونهم شأن جبران وطغمته . وقد دفعه الزق ايضاً الى وصف الكاهن اقبح وصف مبيناً للملإ أن الدين جعل ستراً للفظائع والموبقات (كاقلام بعض الكتبة اللهم الذين على شاكلته) . الى آخر ما هنالك من التحامل الظاهر ظهور الشمس رأد الضحى . . .

هذا هو جبران المتفلسف اصفهُ كما يوحيه اليّ ضميري ولا ناقة لي ولا جمل في الامر . واترك لغيري من الكتبة والنقّاد غربلة محصولاته ونقدها واحدة واحدة . والحكم في بضاعته المبتذلة التي يعرضها على الجمهور المغترّ بها والتخلّص الى ذكر السبب الاول الذي حمل هذا اليراع على دخول هذا الميدان

*

لقد ذكرنا ان فساد مبادئ جبران حمات الاب شيخو الى انتقاده وإماطة اللثام عن تهتكه ومساوئها فوضع مقالة انتقد بها « بدائعه وطرائفه » على صفحات المشرق البيروتيّة فقامت قيامة السائح عليه وكتب المقالة التي ذكرناها في اول هذه العجالة وحشاها بالتهكّم والذمّ وقد دفعتهُ حدّتهُ الى ان ناصب الدين العداء (وهي اشرف ذخيرة بقيت لنا سليمة في هذا الشرق) واستهزأ بالكهنة . فكذّبنا النظر في بدء الامر لعلمنا ان السائح المعروفة بماضيها المجيد وبجهادها الطويل في عالم الصحافة لا تُقدم على مثل هذا الامر الشائن بسمعتها وسمعة مناصريها الكرام ! كيف لا ؟ وهو يتعلّق بالطعن والنميمة في كاهن فاضل وكاتب جريّ جلّ ذنبه المسبب لهذا الغضب العظيم انتقاده لاحد الكتاب المتوسين . ومن المعلوم عند الكل ان لا فلاح للغة قلّ عدد منتقديها وكثر الكتّاب ومجّري الاعمدة الطوال فيها فانظر كيف ان جريدة من امهات الجرائد تغضب لمثل هذا الامر وتحنق من الانتقاد الادبي الذي هو اشرف فنون الادب

والمدهش ان هذه المقالة المحشوّة بالطعن والغيبة (وهو ما نزيأ بكل يراعة عنهُ)

قرأناها على صفحات جريدة عرفناهـا بالاعتدال ولم نكن لنؤمل قط ان جريدة كجريدة السائح مع ما لمحرّرها من السمعة الطيّبة في المهجر تتحفنا بمثل هذه المقالة وترضى بان تكون قوساً يطلق نبـال رجل كجبران على كاتب معتـدل ينتصر للادب والدين . وهو الذي خـدم ويخدم لغتنا العربية بتآليف لا ينكر فضلها المنصفون واستحسنها ادباء العصر وارباب المدارس . ومن اغرب الامور اننا لو سألنا جبران وطنته على من تلقّنوا اللغـة وفي اي كتب . لأجابوا بدون شك انهم قرأوا العربيـة في تلك المصنّفات واخذوها عن الكهنة رسل الخير أو ارباب الخلافة السوداء على زعمهم !!! . وعندئذٍ يصح قول المزمور بهم : «ملعون كل من شرب من بئر ورمى حجرًا فيها» . وما هو يا ترى سبب هذا الشتم والسبّ ؟

لا شيء ؟ بل لانّ مدير المشرق حاول ان يصدّهم عن قتل النفوس بسموم مبادئهم الفتاكة وردع يراعتهم عن افساد اللغة النقيّة

ومن الغرابة طعنُ السائح وشتمها الذي دلّ على عجزهـا ولو شاءت ان تبين للجمهور الحقيقة لوجب عليها ان ترد الحجة بالحجّة والبرهان بالبرهان كما فعل الاب في انتقاده فصدت الى تمويه الحقيقة من جميع وجوهها

فهل لجريدة السائح ان تخـبرنا أية حجة دفعتها أو برهـان زيّفتهُ بل جلّ ما هنالك في اعمدتهـا الطويلة كلمات لم نفهم منها الّا ان انتقاد جبران كان مديحاً له وذمّـه تسبيحاً وانّ الاب هجا وشتم وليس في كل ما كتبـهُ عن جبران كلمـة شتيمة او هجو ولم يأنف قلم الاب شيخو مثل هذه الجبرانيات بل كل ما هنالـك انتقاد حقيقي حريّ بكل اديب ان يجري على مثاله فينفع قومهُ ويخدم لغتـه اجلّ خدمة

ولكن لربما صحّت كلمات السائح في السائح نفسهِ فعظّم ويجّل الاب من حيث لا يدري فجلب نظر الفريق الاكبر منّا الى مطالعة مؤلفاته العديدة وكان الفضل في ذلك للسائح واصبح لنا الحق ان نقول انهُ كان الواسطة في ذكر خدماته السابقة